عمليّة الاختزال التي يطلبها كلّ عالم يريد ردّ ما لا يتناهى عدده من عناصر النصّ اللّغوي إلى عدد قليل من الأصناف. وقد انطلق في ذلك من تجارب الأنحاء القديمة عندما وضعت الكتابة االألفابائية وانطلق خاصّة من نجاح "الفونولوجيا في اختزال متغيّرات صعيد التعبير بالاعتماد على الوظيفة التمييزية للحكم بفائدة هذا العامل التمييزي في تعيين ثوابت صعيدي بنية اللّغة (صعيد التعبير وصعيد المضمون) مهما كان المستوى الذي نباشره ضمنهما.

فقال:

«يصادف الباحث اختلافا بين الثوابت التابعة لصعيد التعبير عندما يجد فيها تعالقا Corrélation أي العلاقة التي نرمز لها بالتركيب الشرطي إمّا وإمّا وتفرض عليك أن تختار بين /a/ و /i/ في قولك /rat/ و /rit/ أو تلك التي تفرض عليك أن تختار بين /ق/ و /س/ في قولك بالعربية / قال/ و / سال/ ويناسبه تعالق آخر على صعيد المضمون (أي العلاقة إما... وإما التي تختار بمقتضاها ضرورة بين مقداري المضمون "rat" و "rit" بالفرنسية أي تلك التي تفرض عليك أن تختار ضرورة بين مقداري المضمون اللّذين تمثلهما "قال" و"سال" بحيث توجد علاقة بين التعالق [الملاحظ على صعيد] التعبير والتعالق [الملاحظ على صعيد] المضمون. إن هذه العلاقة هي النتيجة المباشرة للوظيفة السيميائية ولتضامن شكل التعبير وشكل المضمون [1]».

ولفهم هذا الشاهد فهما تاما نضيف أن ما يقصده المؤلف بمقداري المضمون اللّذين يحيل عليهما الرمزان "قال" و"سال" هي التجربة الحدسية التي تحصل لك عند استعمالك لهاتين العلامتين اللّغويين بالعربية.

ولئن اقترنت صلوحية هذا المبدأ عند الجمهور العريض بتعيين الوحدات الدنيا للتعبير بسبب صيت نظرية الصوتم، فإن هيلمسليف ألحّ على صلوحيّة هذا العامل التمييزي لتعيين كل مقادير صعيد التعبير أو كل مستوياته، وهو ما يطابق مختلف المركبات اللّغوية إن نظرنا إليها باعتبارها مستويات مختلفة لصعيد التعبير.

---

1 P.T.L. ص 85.